# أحوال الموريسكيين في الأندلس في القرن السابع عشر من خلال كتاب «رحلة الوزير لافتكاك الأسير، لمحمد بن عبد الوهاب الغساني»

الكلمات المفتاحية:الموريسكيين ،الاندلس،رحلة الوزير

أ.م.د. رضاب حاتم ياسين
جامعة الانبار–كلية التربية للبنات
Readab.hateem@uoanbar.edu.iq

**الملخص**

بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م بدأت على المسلمين مرحلة جديدة من المتاعب، فالتسامح الذي ساد سابقا أصبح مواقف عدائية وعنصرية، تمثلت بالتنصير الإجباري ونهب الأموال، والاستيلاء على الممتلكات، وأخيرا كان الطرد من البلاد هو السمة السائدة في محاكم التفتيش، إلا أن المسلمين واجهوا كل ذلك بالمقاومة أولا، ثم قبول التنصير حفاظا على البقاء في أرض الوطن، وبعضهم فضل النجاة بنفسه ودينه فهاجر إلى أفريقيا وغيرها، إلا أنه مع تقدم الزمن حدث انفراج في الأزمة، واستطاع المسلمون استرداد بعض ما سلب منهم من حق، وهو ما صورته لنا رحلة الوزير الغساني من مشاهدات عبر رحلته إلى إسبانيا في افتكاك الأسرى المسلمين.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المقدمة**

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:

فإن الرحلة إلى البلدان تعد من أهم وسائل الأدب الجغرافي في معرفة أحوال الآخر ودراسة طبيعة عيشه، وما وصل إليه من حضارة وعمران وتطور اجتماعي، فالرحالة هم الذين يصورون لنا مدى ما وصلت إليه المجتمعات المقصودة من رقي أو انحطاط، فضلا عن الأهداف التي من أجلها قطع هذا الرحالة أو ذاك المسافات، وموضوع بحثنا جمع فيه محمد بن عبد الواحد الغساني بين السفارة السياسية والتعرف على أحوال الأندلس من جهة الحضارة والعمران، وأحوال المجتمع، سواء أكانوا من سكان البلاد الأصليين، أو مسلمين أسرى عند صاحب ذلك البلد.

وعلى هذا جاء نص الرحلة وثيقة مهمة ونادرة في تسجيل أحداث وأعمال الآخر، دون تعصب أو تلفيق أو تحامل، بلد كان رائد المؤلف هو الحقيقة وأداء الأمانة، وتحقيق ما أرسب

إليه من مهمة، وسيأتي بيان ذلك كله من خلال استعراض نصوص الرحلة وما يهم الباحث من معلومات.

**المدجنون والموريسكيون:**

يقدم لنا التاريخ الأندلسي خلال صفحاته الأولى، صورا من المجد العربي والتقدم الحضاري في أبوابه كافة، إلا أنه في بداية القرن الخامس الهجري تبدلت الأحوال، فنجد الصورة مغايرة لأهم سماتها، وهو تناصر الأندلس القوية إلى أشلاء مقطعة، كل بلد يحكمه حاكم يطمع في أملاك جيرانه، ويتعاون مع العدو القديم في سبيل نيل أملاك جاره، وقد أطلق على ذلك العهد اسم «ملوك الطوائف».[١]

وقد وصفهم ابن الخطيب بقوله: "ذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشغاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب، والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب... اقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار".[٢]

ونتيجة المناحرات بينهم تغلب عليهم أعداؤهم، وجراء ذلك سقطت المدائن الكبار، وما أن حل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حتى وصلت رقعة الوطن الأندلسي إلى مكان صغير المساحة، محاط بالأعداء، يسمى «مملكة غرناطة»[٣]، في حين أصبحت المدائن الكبار صاحبة التاريخ العريق تابعة وخاضعة لحكم الإمارات المسيحية المتحالفة.[٤]

إن الذي يهمنا من هذا السرد التاريخي الموجز، أحوال الشعب المغلوب تحت حكم الدولة الإسبانية الجديدة، وما كانت السلطة تطلقه عليه.

كان الشعب المسلم كلما سقطت مدينة من مدن الأندلس، إما أن يتحول إلى مملكة غرناطة، يمارس أموره الدينية والمدنية، أو يبقى تحت حكم الدولة الجديدة، وهم كثير قياسًا على غيرهم ممن ترك البلاد، وقد أطلق على هؤلاء الذين فضلوا البقاء في أماكنهم اسم «المدجنون»، مع ما يحمل هذا الاسم من الإذلال والصغار والإهانة .[٥]

وقد شاع استعمال هذا اللقب المهين في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، قبل أن يأتي الاسم الثاني الذي ظل يلازم مسلمي الأندلس إلى اليوم وهو «الموريسكيون»، والحق أن المدجنين عاشوا سنين طويلة تحت حكم النصارى، يتمتعون بكامل حقوقهم المدنية والدينية، على خلال الموريسكيين[٦] الذين سيأتي الكلام عنهم فيما يأتي.

وقد كان هؤلاء المدجنون موضع انتقاد من قبل إخوانهم الذين تركوا البلاد وهاجروا إلى غرناطة ومدنها، ووصموهم بالإذلال والتبعية للعدو المحتل، وأنه لا يجوز البقاء في تلك الديار ولو ساعة واحدة، وهو مخالف لصريح القرآن والسنة النبوية[٧]، إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا، فبعد تغلب الإسبان على غرناطة وسقوط كامل التراب الأندلسي بيد الدولة الإسبانية، لم نعد نسمع باسم «المدجنين»، بل استبدل باسم «الموريسكيين»، نتيجة الأساليب التي اتبعتها الدولة في حمل المجتمع الأندلسي على التنصر أو ترك البلاد.[٨]

**الموريسكيون:**

وهو الاسم الثاني الذي أطلق على المسلمين الذين بقوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة، وقد شاع استخدام هذا المصطلح في الدراسات التاريخية، وهذا الاسم يعني: "المسلمين الأصاغر، أو العرب المتنصرين"[٩]، وتعريف آخر هو: "اسم يطلق في إسبانيا على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن استولى الملكان الكاثوليكيان فرناندو وإيزابيلا على غرناطة يوم ٢ كانون الثاني عام ١٤٩٢م/ ٨٩٧هـ ، بعد زوال حكم آخر أمراء بني نصر".[١٠]

بدأت مأساة هؤلاء الموريسكيين بعد أن نقض الإسبان العهود التي قطعوها للمسلمين، بعد تسلم غرناطة، وكانت تضمن لهم حريتهم في العبادة والعمل والممتلكات العامة[١١]، ويصف المقري تلك الحالة وهو قريب العهد للأحداث بقوله: "فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجواز، وعزموا على الاستيطان والمقام في الوطن، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أول مرة، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا، إلى أن نقض جميعها، وزالت حرمة المسلمين، وأدركهم الهوان والذلة، واستطال عليهم النصارى، وفرضت عليهم المغارم الثقيلة، وقطع عنهم الأذان في الصوامع، وأمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباض والقرى، فخرجوا أذلة صاغرين، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكرههم عليه، ... فدخلوا فيه كرها..."[١٢]، وهذا القول أكدته المدونات النصرانية حول الموروسكيين عندما ذكرت ثورة أهل غرناطة على أساليب التنصير الاجتماعي الإجباري، وأعمال تعسف من القتل والحرق لمن رفض ذلك.[١٣]

لقد لقي المسلمون جراء ذلك الامتثال لأوامر محاكم التفتيش التي شكلت في أنحاء البلاد، واتهام الناس بالكفر إذا رفضوا التنصير، فضلا عن الاستيلاء على أموالهم وبيوتهم، وأخذ الأطفال منهم[١٤]، ولسنا هنا في هذا البحث لبسط الأعمال الوحشية التي حصلت للمسلمين

في تلك المدة، إلا أني أشير بإيجاز إلى الصراع العنيف الذي حصلت ذروته في تلك المأساة، وهي:

١. كانت تلك الأعمال تمثل النهاية الرسمية لسياسة التسامح التي كانت في العصور الوسطة، وتمثلها السنوات (٩٠٦-٩٠٨هـ/ ١٥٠٠م إلى ١٥٠٢م).
٢. خيبة الأمل في إيجاد تفاهم بين المورسيكيين والنصارى جراء الأعمال التعسفية التي قاما بها الدولة والكنيسة، وهو ما حصل في السنوات (٩٧٦-٩٧٨هـ/ ١٥٦٨-١٥٧٠م)، وارتداد مسلمي قشتالة عن المسيحية، والحروب الدموية التي رافقت ذلك.
٣. انفراد الكاثوليكية بالنفوذ في إسبانيا، والطرد العام للموريسكيين الذين لا ينفذون أوامر الكنيسة وكان ذلك سنة (١٠١٨-١٠٢٣هـ/ ١٦٠٩-١٦١٤م).[١٥]

في السنوات أعلاه تم طرد كثير من المسلمين عن إسبانيا إلى بلاد أفريقيا، أو طريق فرنسا وغيرها، إلا أن هناك جماعات رفضت ترك موطنها مهما كان الثمن، ويؤكد هذا ما جاء في الحوليات النصرانية ما نصه: "كتب الكونت دي سلازار للدوق دي ليرما في ١٠٢١هـ/ ٢٨/أيلول/١٦١٢م يقول: لقد بقي الكثيرون، وبخاصة في المناطق التي يوجد فيها عصابات، أو التي يوجد فيها أشخاص مرغوب فيهم، مثل: بلاشنثيا وتروجيجو ومريدا وأوكانيا وتالابيرا، ومع أنه من المعروف وجود كثير من الموريسكيين القدماء الذين يعيشون في أحياء منعزلة، فقد وردتنا أدلة على بقاء بعضهم من سكان تلك القرى في إسبانيا".[١٦]

فهذا النص يؤكد وجودهم على الرغم من أعمال القتل والطرد، وتؤكد حولية أخرى على أن كثيرا ممن طردوا من إسبانيا قد عادوا إليها، وخاطروا بحياتهم ودفعوا الأموال الطائلة لأجل العودة لأوطانهم، ويقول النص: إن لدينا أدلة موثقة لا يتسرب إليها الشك.[١٧]

بعد مرور الزمن، خفت وطأة الملاحقة على الموريسكيين، وبدأت روح التسامح تظهر جلية في عموم البلاد الإسبانية، ففي فترة حكم فيليب الرابع بدأت مرحلة من النسيان والاعتدال مع الموريسكيين وفرضت سياسة الأمر الواقع، وهذا ما قررته المجالس النيابية، إذ كتبوا مطالعة إلى الملك فيليب الرابع يطالبون فيها بإنهاء معاناة الموريسكيين والملاحقات التي تطالهم، فبسطوا القول في مطالعتهم: "ما أن يظن عودة أحد الموريسكيين حتى ترتكب العديد من المضايقات وأغرب من هذا ما يوضع كمبرر، ألا وهو خدمة صاحب الجلالة، ولأجل ذلك فإننا نرجو صاحب الجلالة أن يأمر أن لا يرتكب هذا الأمر فصاعدا، وأن يتم إيقاف كل

التحقيقات..."، فكتب الملك: "ليس من المناسب أن يتم هذا بقانون، وصاحب الجلالة أمر المجلس أن يكتب للولاة خطابات يطالبوهم فيها بالتساهل في تلك الأمور"[١٨]، إن هذا التعامل الإيجابي هو ما سنراه من خلال رحلة الغساني ولقاؤه مع الموريسكيين.

كتاب: «رحلة الوزير في افتكاك الأسير».

[١]المؤلف: هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي، من أسرة غسانية، غادرت الأندلس واستوطنت بمراكش في المغرب، درس العلوم وبرع في الكتابة الديوانية، حتى أصبح كاتبا ببلاط الشرفاء العلويين، وكان عارفا بأمور الكتابة، معروفا بكونه من كبار علماء عصره، وهو الذي أرسله مولاي إسماعيل إلى الأندلس لغرض تحرير المخطوطات العربية التي تقدر بنحو خمسة آلاف مخطوط، وكذلك إطلاق سراح خمسمائة أسير مسلم في فترة شهدت حروبا دامية بين المسلمين والإسبان، ومعرفة أخبار الموريسكيين المضطهدين خلال قرن ونصف، وقد قام بهذه السفارة خير قيام، ثم عاد إلى المغرب، وكانت وفاته سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م.[١٩]

تاريخ الرحلة وطريقها:

ابتدأ الغساني رحلته سنة ١١٠٢هـ/١٦٩٠م، وكانت طريقه كالآتي:

(مرسى جبل طارق – سبتة – قادس – سانتا مرية – شريش – البرجية – أطريرة – مريشنة – إيشكا – وادي شنبيل من أحواز قرطبة – قرطبة – مدينة الكاربي – اندوخر – لينارس – طري كوان – مانشا – مدينة مورا – طليطلة – بنكص – خطاني – مدريد)[٢٠]. والذي يهم موضوع البحث لقاؤه بالموريسكيين ووصف أحوالهم.

الموريسكيون ولقاؤهم من خلال الرحلة:

كان أول لقاء في مدينة قادس[٢١]، يقول الغساني: "لقينا بمدينة قادس من الأسرى رجالا ونساء وصبيانا، وهم يفرحون ويعلنون بالشهادة ويصلون على النبي ، ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور بالله، فذكرناهم ووعدناهم بالخير من أن سيدنا نصره الله غير تاركهم، ما دام فضل الله عليه، فكان ذلك يوم يوم عيد لاستبشارهم بالفرج من الله تعالى على يد المولى المنصور بالله، لاسيما وقد تقرر لهم أن سيدنا نصره الله لم يكن له قصد ولا نية في جمعه لسائر النصارى الذين في ربقة الأسر إلا لأجل فكاك المسلمين من يد العدو...".[٢٢]

١

هذا النص يؤكد على مدى الحرية التي يعيشها المسلمون في إظهار دينهم ورفع شعار الإسلام، والتصريح بالصلاة على الرسول الأعظم  خلال السنة التي تمت بها الرحلة.

ينتقل الغساني في رحلته إلى مدينة شريش، والبريجة، فيقول فيما يتعلق ببحثنا عن شريش[٢٣]: "وجل أهلها من أهل الأندلس وأعيانهم، لكنهم تنصروا... ثم بلغنا عشية مدينة يقال بها البريجة[٢٤] وهي مدينة صغيرة إلى البداوة أميل... وفيها انتسب لنا بعض إلى الأندلس، بإشارة خفية، ولم يقدر على التصريح بغير كلام خفي، إلا أن العهد طال عليهم، وربوا في بحبوبة الكفر...".[٢٥]

وهذا النص يؤكد أن السكان وإن كانوا قد تنصروا منذ زمن، إلا أنهم يحتفظون بانتمائهم للأمة المسلمة، وأن أحدهم المذكور لم يستطع أن يصرح بأصله بحضور الحاكم والناس، خشية أن يؤاخذ بقوله وانتسابه.

ينتقل الغساني بعدها إلى مدينة إطريرة[٢٦]، فيقول عنها بأن جل سكانها من أهل الأندلس، تلقونا بالفرح والبشاشة، "وقد شاهدنا ابنتين: بنت حاكم البلد والأخرى بنت القاضي... لم تر عيني في جميع ما رأيت ببلاد إسبانيا على سعتها أجمل منهما، وهما من بنات الأندلس، ومن دم ملك غرناطة الأخير الذي كان غلب عليها، وهو المعروف عندهم بـ«لري الشبكو» ومعناه السلطان الصغير[٢٧]، ولقد أخبرني بمدينة مدريد رجل يسمى ضون ألونصو حفيد موسى أخي السلطان حسن المتغلب عليه بغرناطة أن البنتين بإطريرة من دمه، وضون ألونصو هذا رجل حسن الأخلاق، له قوة وشجاعة، معروف عند النصارى، وهو معدود من فرسانهم وشجعانهم... ومع هذا فهو مائل إلى من يلقاه من أهل الإسلام ويذكر نسبته، ويعجبه ما سمعه من الحديث عن الإسلام وأهله..."[٢٨]، إن هذا النص يوضح ما كان يتمتع به ذوو الأنساب والأعراق الرفيعة من التقدير والاحترام، وهو ما ناله هذا الرجل المسمى ضون الونصو.

ولما وصل الوفد إلى قرطبة[٢٩] يقول الغساني: "وحين قربنا من المدينة برز أهلها للملاقاة، وبرز بها من كان من الأسرى وهم يعلنون بلفظ الشهادة ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور بالله، وصبيان النصارى يقولون مثل ما يقول الأسرى..."[٣٠]، وقوله الصبيان النصارى يقولون مثل ما يقول الأسرى، ربما يسخرون منهم، ثم يستطرد الغساني في وصف جامع قرطبة، وأن أكثر منشآته باقية على حالها منذ زمن حكم المسلمين، إلا أنه جلب انتباهه إلى أنهم كما

يقول: "قد أحدث النصارى بوسط هذا المسجد مقابلا للمحراب قبة كبيرة مربعة مشبكة بشبابيك من نحاس أصفر، جعلوا داخل هذه القبة صليبا من صبانهم، وكتب صلواتهم التي يحضرونها مع الموسيقى وشبهها".(٣١)

بعدها توجه إلى مدينة أندوخر(٣٢)، فوجد أكثر سكان هذه المدينة أصلهم من غرناطة من أصول عربية، ويرجع نسبهم إلى بني سراج(٣٣)، فأكثر الحديث معهم، ومما قاله: "وجل المتنصرة الذين بأندوخر يعدون من أكابر البلد... وأكثر ما يحصل لهم اليوم من الكبيرة «المنزلة» أن يكون من نسل هؤلاء القوم الذين تنصروا أن يرث حمل الصليب على كتفه، فتلك هي علامة الأكابر عندهم، والخطط التي يتولاها بقايا هذا الجنس المذكور هي: الكتابة وحكومة البلدان والشرطة،... فهم في هذه النواحي كثيرون لا يحصون، فمنهم من ينتسب ومنهم من لا ينتسب، ومنهم من ينفر من سماعه لانتسابه ذلك... والذين بيدهم ولاية أو خطة من الخطط المخزية من أهل هذا الجنس لا ينفرون من هذا الانتساب".(٣٤)

ونجد الغساني يتوسع في ذلك بني سراح فيقول عنهم: "ولقيت يوما بمدريد رجلا ومعه جماعة من النساء صغارا وكبارا، لهم حسن وجمال، فوقف وسلم سلاما كثيرا، وأظهر هو ومن معه من النساء بشرا وترحيبا، فقابلنا بما يجب، وحين أراد الانصراف عرّف نفسه بأن قال: نحن من جنس المسلمين من نسل أولاد السراج، فسألت عنه بعد ذلك، فقيل لي إنه من كتاب الديوان، وهو الذي يقرأ ما يحصل بالديوان من رقاع وعرض حال وشبهه... وكذلك كانت جماعة من أهل غرناطة، لهم بها ولاية وأحكام وسكناهم بمدينة مدريد... وينتسبون إلى الجنس الذي كان بغرناطة... وكانوا يسألون عن دين الإسلام وعن أشياء منه، فحين يسمعون ما نجيبهم عنه من الديانات، وأحكام الطهارة التي بني الإسلام عليها، وغير ذلك، يعجبهم ما يسمعون وينصتون إليه، ويشكرونه بمحضر النصارى ولا يعبؤون بمن حضر، وما زالوا مدة مقامنا بمدينة مدريد يكثرون التردد علينا، ويظهرون من المحبة والتحنن شيئا كثيرا...".(٣٥)

إن الغساني بهذه الرواية وغيرها، ينقل إلينا صورة أولئك العرب المتنصرين، ومدى حبهم للإسلام، وحنينهم إلى ماضي أسلافهم، فضلا عن معرفة أحكام الإسلام وتعاليمه، على الرغم من أنهم صاروا في عداد الدين المسيحي، ويوحي النص إلى روح التسامح التي وصل إليها المجتمع في نهاية القرن السابع عشر الميلادي على خلاف ما كان يحصل في بداية سقوط غرناطة.

وتستمر الرحلة حتى يصل إلى العاصمة مدريد[٣٦]، فيصفها بأنها "مدينة كبيرة جدا، وبها من الخلق عدد كثير... فلقينا من بها من الأسرى وهم فرحون مسرورون، معلنون بلفظ الشهادة والصلاة على النبي ﷺ، والدعاء بالنصر لسيدنا المنصور بالله تعالى...".[٣٧]

ثم يأتي الغرض من الرحلة، وهم الطلب من الملك الإسباني ما تضمنته رسالة مولاي إسماعيل من إرسال الأسرى والكتب[٣٨]، إلا أن الغساني غادر بعدها مدريد إلى طليطلة، دون أن نجد ما يشير إلى حل قضية الأسرى أو الكتب التي من أجلها كانت الرحلة، وتنتهي الرحلة بوصف الطريق إلى طليطلة، ثم يتوقف الكاتب عندها، فهل هناك يا ترى شيء لم يصرح به المؤلف؟ أو مهمة أكبر من موضوع الأسرى أخفاها الكاتب ولا يريد أن يصرح بها؟ لعل الأيام تكشف عن ذلك.

**الخاتمة:**

**من خلال القراءة المتأنية لهذه الرحلة الممتازة، وما تطلبه موضوع بحثي، خرجت بالنتائج التالية:**

١. أن هذه الرحلة على عمومها لها مكانة تاريخية واستنتاجات قيمة لمشاهدات المؤلف في تلك البلاد من النواحي العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، وبذلك تعد هذه الرحلة من أعظم ما كتبه المؤلفون عن أصول الدولة في ذلك الوقت.
٢. كشفت الرحلة عن قوة ملاحظة مؤلفها وفطنته وصدق لهجته، مع أمانته في تصوير ما رآه بدقة، فضلا عن روح التسامح وعدم التعصب، مما جعله يتعامل مع المسؤولين الذين صادفهم بدون تحيز أو تصادم.
٣. اهتمامه بالسماع والإصغاء للعناصر العربية التي غيرت دينها، وتعاطفه معهم، ولاسيما مع بني سراج وغيرهم من الأقوام، والاهتمام بتفاصيل حياتهم والإجابة عن أسئلتهم دون تعصب أو انحياز.
٤. جاءت رحلته مليئة بوصف الأخلاق والعادات الاجتماعية والنظم حتى إنه ليبدو للقارئ كأنه عالم اجتماع أقرب منه إلى كونه مؤرخا لأحداث معينة.
٥. ما استوقفني خلال قراءتي للرحلة، أن هناك معلومات قد أهملها المؤلف، وهي حريّة أن تعرف، مثل: المهمة التي من أجلها كانت السفارة، وهي قضية الأسرى، فهو من خلال الرحلة يذكر أنه لقي مجموعة من الأسرى بقادس وقرطبة ومدريد، ولكنه لم يذكر

لنا ما أسفرت عنه هذه الرحلة، هل أخذهم معه، أو بقوا في أماكنهم، وما مصير الكتب التي جاء من أجلها، هل إن الرحلة كان لها أغراض أخرى لا يريد المؤلف التعرض لها؟ هذه أسئلة لم يجب عنها المؤلف في رحلته.

٦. وكذلك انقطاع أخبار الرحلة عند طليطلة، وعدم تفصيل أحوال المدن التي مر بها خلال رجوعه، كل ذلك يظل بلا إجابة، وربما بعدم أهميتها لم يذكرها المؤلف، إذا أردنا الاعتذار عنه بهذا.

٧. ومن الملفت أيضا في هذه الرحلة، أن مؤلفها لم يذكر بقايا المسلمين في أنحاء الأندلس، ولو بشكل موجز، فضلا عن أنه لو واصل رحلته بعد طليطلة وسلك طريقا غير الذي جاء به، لزودنا بأخبار مهمة وجديدة تفتقر إليها المكتبة العربية عن تلك المرحلة من حياة المسلمين في تلك البلاد.

هذا ما ظهر لي من نتائج، والله الموفق.

**Abstract**

**The conditions of the Moriscos in Andalusia in the seventeenth century through the book "The Minister's Journey to Relieve You of the Captive, by Muhammad Ibn Abd al-Wahhab Al-Ghassani"**

***Ass. Prof. Dr. Redab Hatem Yasin***

***Keywords: Moriscos, Andalusia, the Minister's trip***

***University of Anbar-College of Education for Girls***

After the fall of Granada in 1462 AD, a new phase of trouble began for the Muslims. The tolerance that prevailed in the past has become hostile and racist positions, exemplified by forced Christianization, plundering of money, and the seizure of property. Finally, expulsion from the country was the dominant feature of the Inquisition. However, the Muslims faced all of this with resistance first, then accepting Christianization in order to preserve their survival in the homeland. Some of them preferred to save themselves and their religion, so they migrated to Africa and elsewhere. However, with the progress of time, a breakthrough occurred in the crisis, and the Muslims were able to recover some of what was taken from them. This is what the journey of Minister Al-Ghassani portrayed for us from his observations during his trip to Spain in the exhumation of the Muslim prisoners.

**الهوامش**

[١] عنان: دول الطوائف: ص١١-١٦.

[٢] ابن الخطيب: أعمال الأعلام.

[٣] الشريف: المجتمع الإسلامي في الأندلس قبل القرن السابع الهجري: ص٨٣.

[٤] المصدر نفسه: ص٩١.

[٥] هارفي: المدجنون: ص٢٨٦، وهو اللقب أو الاسم الذي أطلق على المسلمين بعد سقوط المدن الكبرى، وشمولهم بقانون الدولة الإسبانية.

[٦] عبد الحميد: المدجنون في إسبانيا المسلمة: ص١٢٤.

[٧] هارفي: المدجنون: ص٢٨٩.

[٨]عوف: المدجنون في إسبانيا المسلمة: ص١٣٠-١٤١، وفيه تفاصيل عن حياة هؤلاء استنادا إلى الوثائق المترجمة عن اللغة الإسبانية، والموجودة في مكتبة الاسكوريال وغيرها.

[٩]عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين: ص٣٠٦، وفيه ترجمات للمؤرخين الإسبان المعاصرين للأحداث ومواقفهم من محاكم التفتيش وغيرها.

[١٠]هارفي: تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، بحث ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تعريب سلمة الخضراء الجيوسي، ٣١٧/١.

[١١]عنان: نهاية الأندلس: ص٢٥٠ «النص القشتالي».

[١٢] المقري: أزهار الرياض: ٦٨/١.

[١٣] هورتز: الموريسكيون، حياة ومأساة أقلية: ص٢٨، وهو كاتب إسباني منصف.

[١٤]غارثيا: محاكم التفتيش والموريسكيين: ص٢٧.

[١٥] هورتز: الموريسكيون: ص١٩.

[١٦]المصدر نفسه: ص٢٧٢-٢٧٣.

[١٧]غارثيا: محاكم التفتيش والموريسكيين: ص١٢٧.

[١٨] الصالح: بعد سقوط غرناطة: ص١٣٤.

[١٩]ينظر ترجمته: القادري: نشر المثاني: ٧٧/٢، وكراشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب: ص٧٣٧.

[٢٠] الغساني: رحلة الوزير: ص٣٣ وما بعدها.

[٢١] قادس: جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن إشبيليا، كثيرة الريع من الفواكه والحبوب وغيرها، وبها بناء قديم، وبها الصنم المشهور. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٦/٤.

[٢٢]الغساني: رحلة الوزير: ص٣٦.

[٢٣] شريش: مدينة كبيرة من كورة شذونة، وهي قاعدة هذه الكورة، تقع على مقربة من البحر، لها قلعة حصينة، وبها كثير من الأشجار والزروع. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١٣٨/٣، والحميري: الروض المعطار: ص٣٤٠.

[٢٤] البريجة: لم أقف عليها في كتب البلدانيات.

[٢٥] الغساني: رحلة الوزير: ص٣٩.

[٢٦] إطريرة: لم أقف عليها في كتب البلدانيات.

[٢٧] أبو عبد الله الصغير: محمد بن عبد الله، من بني نصر الخزرجي، آخر ملوك غرناطة، وعلى يديه تم تسليم غرناطة، ورحل إلى المغرب، وتوفي بها، وهو المشهور بالملك المنكوب الباكي، ينظر: المقري: نفح الطيب: ٥٢٥/٤، وأزهار الرياض: ٦٦/١.

[٢٨] الغساني: رحلة الوزير: ص٤٠.

[٢٩] قرطبة: أعظم مدن الأندلس، وهي مركز الخلافة، وكرسي الحكم، كثيرة الخيرات والزروع، تقع على نهر الوادي الكبير، خرج منها كثير من العلماء في كل فن، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٣١/٤، والحميري: الروض المعطار: ص٤٥٦.

[٣٠] الغساني: رحلة الوزير: ص٤٥.

[٣١] الغساني: رحلة الوزير: ص٤٦.

[٣٢] أندوخر: حصن من الحصون المنيعة قرب قرطبة، كثير الخيرات والفواكه، ويسميه الحموي «أندوشر»، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢١١/١.

[٣٣] بنو سراج: من أعرق الأسر العربية في الأندلس، من بيت الرئاسة والوزارة والسياسة، كانت منازلهم أولا في قرطبة، ثم تحولوا إلى غرناطة، وتولى بعض أفراد هذه الأسرة الوزارة وقيادة الجيش، وكانوا يرون أنهم أولى بالرياسة من بني نصر، فوقعت بينهما خلافات فرحلوا عن غرناطة بأسرهم وتنصروا، ينظر: عبد الله: دولة بني الأحمر في غرناطة: ص١٢٧.

[٣٤] الغساني: رحلة الوزير: ص٥٣.

[٣٥] الغساني: رحلة الوزير: ص٥٣-٥٤.

[٣٦] مدريد: ويسميها المسلمون في السابق «مجريط»، من بناء المسلمين، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأمير الأموي، وكانت أول أمرها أيام الخلفاء والأمراء بالأندلس مقرا لتجمع الجيوش المنطلقة إلى الشمال «ألبة والقلاع»، وتقع بالقرب من طليطلة، وقد خرج منها كثير

من العلماء والأدباء، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢٠٩/٤، والحميري: الروض المعطار: ص٥٢٣.

[٣٧] الغساني: رحلة الوزير: ص٦٧.

[٣٨] الغساني: رحلة الوزير: ص٨٤.

**المصادر والمراجع:**


- الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت٧١٠هـ/١٣١٠م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٤، ١٩٧٤م.
- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني المعروف بابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م.
- الشريف: عبد القادر شلبي، المجتمع الإسلامي في الأندلس قبل القرن السابع الهجري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- الصالح: تحسين عبد الموجود، بعد سقوط غرناطة، دار التأليف والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.
- عبد الله: محمود عبد القادر، دولة بني الأحمر في غرناطة، دار وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- عنان: محمد عبد الله، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.
- عنان: محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة مصر، ط٢، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.
- عوف: سامر شمس الدين: المدجنون في إسبانيا المسلمة، دار الرشد، الرياض، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- غارثيا: مرثيدس: محاكم التفتيش والموريسكيون، ترجمة خالد عباس، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٨م.

- الغساني: محمد بن عبد الواحد الأندلسي (ت١١١٩هـ/١٧٠٧م)، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق نوري الجراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- القادري: محمد بن الطيب (ت١١٧٨هـ/١٧٦٤م)، نشر المثاني في أهل القرن الحادي والثاني، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٦هـ.
- كراشوفسكي: إغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، ترجمة صلاح الدين هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، المعهد العربي للدراسات، القاهرة، ١٩٥٩م.
- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- هارفي: ليونارد باتريك، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢م.
- هارفي: ليونارد باتريك، المدجنون، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢م.
- هورتز: جونزاليز، الموريسكيون، من السلطة إلى الطرد، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م.
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.